

السيرة - رجال حول الرسول - الدرس (٤٨-٥٠) : سيدنا أبو ذر الغفاري
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

ما هي الشهادة التي حازها أبو ذر الغفاري من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟

أيها الأخوة، مع الدرس الثامن والأربعين من دروس سيرة صحابة رسول الله رضوان الله عليهم، وصحابي اليوم هو سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه، فعن أبي ذر قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتْ الْعَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ، وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: كَالْحَاسِدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَتَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَاعْرِفُوهُ لَهُ))

وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ:
((أَبُو ذَرٍّ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ بِرُؤْدِ عَيْسَى
ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ))

[أخرجه الترمذي في سننه عن أبي ذر]

بالمناسبة فإن شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه شهادة حق، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولأنه عليه الصلاة والسلام لا يعرف المحاباة والمديح، ولأنه الإنسان الكامل، فإذا مدح صحابياً



يمدحه بما فيه، ولا ينطق عن الهوى أبداً، إن هو إلا وحي يوحى .

لذلك هؤلاء الذين سعدوا بوصف النبي عليه الصلاة والسلام هم سعداء حقاً، كيف لا، وقد قال الله عز وجل عن أصحابه الكرام رضي الله عنهم ورضوا عنه:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الفتح الآية: ١٨]

من هو السعيد، وهل للنسب أية قيمة إذا لم يكن على صلة بالاستقامة والتقوى، ومتى يعترف بالنسب؟

يا أيها الأخوة الكرام، والله الذي لا إله إلا هو ما في الأرض شيء أتمنُّ من أن يرضى الله عنك، ولو كنت معذباً، ولو كنت فقيراً، ولو كنت مضطهداً، ولو كنت ضعيفاً، ولو كنت تعاني ما تعاني، ولو كنت في أدنى درجة السلم

الاجتماعي، فإذا رضي الله عنك فأنت أسعد الناس، لذلك فالذي قال:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأثام غضابُ

وليت الذي بيني و بينك عامر وبينى وبين العالمين خرابُ

لقد صدق، لكنه لمن ذاق طعم الإيمان، وذاق طعم القرب، وذاق طعم الرضى، وذاق طعم أن يشعر الإنسان أن الله يحبه، وأن خالق الكون يرعاه، ويحميه، ويدافع عنه، ويجعل له وُدّاً، قال عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[سورة مريم الآية: ٩٦]

الإنسان أحياناً يملأ الدنيا إذا كانت له صلة مع شخص مهمّ، وإذا كانت معه صورة له، يضعها في جيبه دائماً، وكلما التقى بإنسان، يقول: كنا بالأمس معاً في سهرة لعله إنسان لا قيمة له عند الله أبداً، فكيف إذا كانت لك مودة مع خالق الكون؟ .



على كل؛ وكما كنت أقول هذا لكم كثيراً: مهما يكن وضعك الصحي، أو الاجتماعي أو الاقتصادي، أو العلمي، أو الطبقي، أو العرقي، فلا شيء يحول بينك وبين أن تكون بطلاً عند الله عز وجل، من أي منبت كنت، من أي مشرب، من أي طبقة، من أي عرق، من أي جنس، من أي أمة، من أي لون، من أي شكل، من أي وراثة، من

أي أسرة، من أي منطقة، أبداً، لأن هذا الدين دين الله عز وجل، وليس هناك عقبة إلا منك، لذلك ترون من الصحابة من هم في قمم النسب القرشي؟ ومن الصحابة من هم دخلاء على قريش، فسلمان وبلال وصهيب دخلاء على قريش، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟:

((سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ))

[أخرجه الطبراني في الكبير]

النبي عليه الصلاة والسلام ألغى النسب كله، قال:

((أنا جد كل تقي، ولو كان عبداً حبشياً))

هذا هو الإسلام، وما سوى ذلك جاهلية، فأَيُّ إنسان يعتد بنسبه إن لم يكن مستقيماً فلا شأن له ، لكن النسب مع الاستقامة فهو على العين والرأس، تاج يُتَوَجَّحُ الإنسان به، أما نسب بلا استقامة فكلام فارغ، قال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: 1]

هذا شعار من يفتخرون بالأنساب دون أن يستقيموا على أمر الله، قال تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد الآية: 1]

فأَيُّ إنسان يعتد بأسرته، بوسامته، بذكائه، بقومه، بأمرته، فهو اعتداد أعمى، إن لم يقدم شيئاً يرفعه، فهذا سلوك جاهلي، وتفكير جاهلي، ونمط جاهلي، فعَنَ الْمَعْرُورِ بْنِ سُويِدٍ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّيْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَبَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



((يَا أَبَا ذَرٍّ أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكُلُّوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن المعرور بن سويد]



كل إنسان عنصري فهو جاهلي، كل إنسان يحابي إنساناً لا لأخلاقه، ولا لعلمه، ولكن لنسبه، أو لاتصاله بقومه، أو لعشيرته، أو أسرته، فهو إنسان جاهلي عنصري، لذلك في هذا الدرس ترون أن هذا الصحابي الجليل كان من

سيدنا أبو ذر الغفاري

أطراف المدينة، وإد من الوديان التي تصل مكة بالعالم الخارجي .
تعرفون الوديان ممرات إجبارية، فهناك وإد يعد ممرًا إجباريًا بين مكة والعالم الخارجي، في هذا
الوادي الذي اسمه (ودان) كانت تنزل قبيلة غفار، وقد تسألون لماذا في الوادي؟ لأن الوادي مسيل
الماء، وفي قعر الوادي قد تتجمع المياه، وقد ينبت الكأ، لذلك هذه القبيلة، قبيلة غفار كانت تنزل
في قعر الوادي الذي يصل مكة بالعالم الخارجي، يعني على الطريق، وكانت غفار قبيلة فقيرة جداً،
تعيش من ذلك النزر اليسير الذي تبذله لها القوافل، أي تعيش على فتات القوافل .
ربنا سبحانه وتعالى نوح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الغني، ومنهم الفقير، فمنهم
القريب، ومنهم البعيد، ومنهم الحضري، ومنهم البدوي، ومنهم الذكي، ومنهم الأقل ذكاءً، ومنهم ذو
العشيرة، ومنهم من كان دخيلاً على مكة .

من هو أبو ذر الغفاري، وما هي الميزات التي كان يتمتع بها، وعلام يبحث ؟

كان جندب بن جنادة المكنى بأبي ذر واحداً من أبناء هذه قبيلة غفار، وكان واحداً من هذه القبيلة
التي تعيش في ذلك المكان، وعلى فتات القوافل، أو على قطع الطريق .
الإسلام أيها الأخوة، يصعب الإنسان، وكنت أقول هذه الكلمة: لا يمكن أن يُضاف إلى كلمة مؤمن
كلمة أخرى، فأى كلمة تضاف إلى المؤمن كلمة باطلة، لأن الإيمان يصعب نفسية الإنسان بصيغة
الكمال، قال تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٣٨]

لكن هذا الصحابي الجليل كان يمتاز بجرأة القلب، ورجاحة العقل، وبُعدِ النظر .
اليوم زارني إنسان يتمتع بقدرات فكرية عالية جداً، قلت له: إن النبي عليه الصلاة والسلام عجب لا
من إسلام خالد، ولكن عجب من تأخر إسلام خالد، قال له:

((عجبت لك يا خالد! أرى لك فكراً))

معناها الإسلام متوافق توافقاً تاماً مع العقل، كل من كان له عقل راجح يجب أن يستسلم لله عز
وجل، هذا التلازم بين العقل الراجح وبين التدين، هذا تلازم ضروري، وتلازم ثابت وحتمي، فالنبي
لما رأى سيدنا خالدًا، وقد أسلم قبل عام الفتح بقليل، قال له:

((عجبت لك يا خالد! أرى لك فكراً))

إذاً: سيدنا أبو ذر كان يمتاز بجرأة القلب، ورجاحة العقل، وبعُد النظر، وفطرته كانت تأبى أن يعبد الأصنام، كان يضيق أشد الضيق بهذه الأوثان التي تُعبد من دون الله، ويستنكر على قومه، يستنكر فساد دينهم، وتفاهة معتقدتهم .



كان عندنا درس للدعاة يوم السبت، فأحد أخواننا الكرام ألقى محاضرة من مقرر تاريخ الأديان، وفي هذه المحاضرة حديث عن الديانات في الهند، وقرأ لنا مقتطفات من قول رجل راجح العقل هناك، وله مكانة كبيرة جداً، يفضل البقرة على أمه، ويرى أن هذه البقرة يجب أن تُعبد من دون الله . فالإنسان حين يرى تفاهة عقل الآخرين، فذاك الرجل له عقل راجح، والدليل وصل إلى قمة المجتمع الهندي، ومع ذلك حين تحدث عن دينه الهندوسي، وتحدث عن البقرة، وكيف أنها أفضل من أمه، وقال: هو يرضع من أمه سنتين فقط ، لكنه يشرب الحليب من البقرة طوال حياته ، إذاً: البقرة أفضل من أمه؟ هذا ما سمعناه منقول بنصه الحرفي . فكان أبو ذر رضي الله عنه يضيق أشد الضيق بقومه، ويتطلع إلى ظهور نبي جديد، يملأ على الناس عقولهم وأفئدتهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

ما هو الغرض الذي أرسل به أبو ذر أخاه أنيس إلى مكة ؟

أيها الأخوة، الإنسان قد يبحث بهذا المجلس أو بذاك، بهذا المكان أو بغيره، ثم يقول لك: ما ارتويت، عندي فراغ ما ملئ، عندي حاجة عقلية ما ارتوت، عندي تطلع ما وجدته، إلى أن يهديه الله إلى جهة يرتاح لها تسد فراغ عقله، وتسد حاجة نفسه .



سيدنا أبو ذر كان عنده فراغ، كان عنده بحث دائم، ثم تناهت إلى أبي ذر وهو في باديته أخبار النبي عليه الصلاة والسلام الذي ظهر في مكة، وقال لأخيه أنيس:

سيدنا أبو ذر الغفاري

((انطلق إلى مكة ، وقف على أخبار هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، وأنه يأتيه وحي من السماء،
واسمع شيئاً من قوله واحمله إلي .

ذهب أنيس إلى مكة، والتقى بالنبي صلوات الله وسلامه عليه، وسمع منه، ثم عاد إلى البادية،
فتلقاه أبو ذر باللهفة، وسأله عن أخبار النبي الجديد بشغف، فقال: لقد رأيت والله رجلاً يدعو إلى
مكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ما هو بالشعر، فقال: وماذا يقول الناس عنه؟، قال: يقولون: ساحر،
وكاهن، وشاعر، فقال أبو ذر: والله ما شفيت لي غليلاً، ولا قضيت لي حاجة ، فهل أنت كافٍ
عيالي حتى انطلق فأنظر في أمره؟ قال: نعم، ولكن كن من أهل مكة على حذر، لأن الرجل
مُحَارِبٌ هناك، فإذا علموا أنك جئته ربما قتلوك))

إليكم قصة إسلام أبي ذر الغفاري :

أيها الأخوة، فتزود أبو ذر لنفسه، وحمل معه قربة ماء صغيرة، واتجه من غده إلى مكة يريد لقاء
النبي عليه الصلاة والسلام، والوقوف على خبره بنفسه .
بلغ أبو ذر مكة المكرمة، وهو متوجس خيفة من أهلها، فقد تناهت إليه أخبار غضبة قريش لألهتهم،
وتتكيلهم بكل من تحدثه نفسه باتباع محمد، لذا كره أن يسأل أحداً عن محمد، لأنه ما كان يدري
أ يكون هذا المسؤول من شيعته أم من عدوه؟ لا يعرف .
لما أقبل الليل اضطجع في المسجد، فمر به رجل هو سيدنا علي بن أبي طالب، فعرف أنه غريب،
فقال:

((هلم إلينا أيها الرجل، فمضى معه، وبات ليلته عنده، وفي الصباح حمل قريته ومزوده، وعاد

إلى المسجد دون أن يسأل أحداً عن شيء .

-أحياناً أيها الأخوة، قد يواجه الإنسان أسئلة محرجة، كأن يمشي مع شخص، يقول له: أراك هنا،
أين ذاهب؟ لا تحرجه، ربما لا يحب أن يقول: أين هو ذاهب؟ فكل إنسان يكثر الأسئلة، يضيق
على صاحبه-

ثم قضى أبو ذر يومه الثاني دون أن يتعرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أمسى أخذ
مضجعه من المسجد، فمر به علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أما آن للرجل أن يعرف
منزله؟ ثم اصطحبه معه فبات عنده ليلته الثانية، ولم يسأل أحداً منهما صاحبه عن شيء، فلما

كانت الليلة الثالثة، قال علي لصاحبه: ألا تحدثني عما أقدمك إلى مكة؟ فقال أبو ذر: إن
أعطيتني ميثاقاً أن ترشدني إلى ما أطلب فعلت، فأعطاه علي ما أراد من ميثاق، فقال أبو ذر: لقد
قصدت مكة من أماكن بعيدة أبتغي لقاء النبي الجديد، وسماع شيء مما يقوله، فانفرجت أسارير
سيدنا علي، وقال: والله إنه لرسول الله حقاً،- هذه علي حد قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جِئْتِ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾

[سورة طه الآية: ٤٠]

هذه اللقاءات العابرة، اللقاءات التي يظن أنها صدفة، فليست هي صدفة، ولكنها بقدر، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَفْتَلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأنفال الآية: ١٧]

﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾

[سورة طه الآية: ٤٠]

فالله عز وجل علم صدقه، فجمعه بصاحبي جليل، ابن عم النبي عليه الصلاة والسلام-

قال: والله إنه لرسول الله حقاً، وأنه وإنه وإنه، وحدثه عن النبي، فإذا أصبحنا فاتبعني حيثما

سرت، قال له: سر ورائي، فإن رأيت شيئاً أخافه عليك، وقفْتُ كأني أرى الماء

- انفقوا على إشارة - فانتبه وارجع، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل معي، فلم يقر لأبي ذر مضجعه طوال ليلته شوقاً إلى النبي ورؤيته، ولهفة إلى استماع شيء مما يوحى إليه .

وفي الصباح مضى عليّ بضيفه إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضى أبو ذر وراءه يقفو أثره، وهو لا يلوي على شيء، حتى دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم .



يقولون: إن أول صحابي سلم على النبي بسلام الإسلام هو أبو ذر الغفاري، أما كان راجح العقل؟ بلى- حينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم،

قال: السلام عليك يا سول الله .

-لنا هنا كلام جميل، فحين يتكلم الإنسان فإمّا أن يعلو أو يسقط، قال زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وكائن ترى من صامت لك مُعجِبٍ زيادتهُ أو نقصه في التكلّم



تحية الإسلام توحى بالمودّة والخير فعلينا أن نكثر منها

سيدنا عمر كان مرةً ماشياً في الطريق، فقال: السلام عليكم يا أهل الضوء، ولم يُقَل: السلام عليكم يا أصحاب النار، يعني اللغة شيء ثمين، مرة منشئ الأخبار صاغ الخبر التالي: يُسمح باستيراد العلف للمواطنين، هذا غير

سيدنا أبو ذر الغفاري

صحيح، يجب أن يقول يُسمح للمواطنين باستيراد العلف- .

فقال عليه الصلاة والسلام: وعليك سلام الله ورحمته وبركاته، -فعندما تقول: السلام عليكم ، يعني أنني إنسان خيّر فلا تخف مني، الإنسان عليه أن يكثر السلام، حتى إذا دخل على أهل بيته، حتى إذا دخل إلى محل ما فليبدأ بالسلام- .

كان أبو ذر أول من حيّا الرسول بتحية الإسلام، ثم شاعت وعمّت بعد ذلك .

أقبل النبي عليه الصلاة والسلام على أبي ذر يدعوهُ إلى الإسلام، ويقرأ عليه القرآن، فما لبث أن أعلن كلمة الحق، ودخل في الدين الجديد قبل أن يبرح مكانه، فكان رابع ثلاثة أسلموا أو خامس (أربعة))

بعض الصحابة يقولون: كنت في وقت وأنا ثلث الإسلام، الثلث أي سبقه اثنان، الآن أنت كم سبقكم من واحد؟ ألف ومائتا مليون، أنت واحد على ألف مليون ومائتي مليون، سيدنا أبو ذر واحد على أربعة، يعني حينما دخل في الإسلام كان رابع خمسة أو ثالث أربعة .

ماذا فعلت قريش حينما علمت بإسلام أبي ذر، وكيف نجى من القتل، وبماذا أمره النبي ؟

قال أبو ذر:

((أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فعلمني الإسلام، وأقراني شيئاً من القرآن، ثم قال لي: لا تخبر بإسلامك أحداً في مكة، فإني أخاف عليك أن يقتلوك، فقلت: والذي نفسي بيده لا أبرح مكة حتى آتي المسجد، وأصرخ بدعوة الحق بين ظهرائي قريش، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

-الحقيقة التفسير سهل، من شدة انبهاره بالدعوة، من شدة سعادته بالإسلام، فهل من المعقول أنّ في الناس من لا يعرف الإسلام؟ فتطوع أن يخرج إليهم، وأن يصرخ في وجههم بكلمة الحق، مع أنّ النبي نصحه ألا يفعل- .



قال: فجئت المسجد، وقريش جلوس يتحدثون، فتوسطتهم، وناديت بأعلى صوتي، يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، فما كادت كلماتي تلامس آذان القوم

حتى ذعروا جميعاً، وهبوا من مجالسهم، وقالوا: عليكم بهذا الصابئ، وقاموا إليّ، وجعلوا يضربونني لأموت، فأدركني العباس بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، وأكب عليّ ليحميني منهم، ثم أقبل عليهم، وقال: ويلكم، ويلكم، أتقتلون رجلاً من غفار، وممر قوافلكم عليهم؟ انتبهوا .

-انظر إلى الذكاء، لو قال: أتقتلون إنساناً مؤمناً لقتلوه، فهم يريدون قتله، لكنهم خاطبهم بلغتهم، أحياناً الإنسان يُوفق ويخاطب الآخرين باللغة التي يفهمونها، ليس بحكيم من خاطب أناساً بلغة لا يفهمونها، أحياناً تخاطب إنساناً قوياً، وتقول: والله يجب أن تفعل هكذا، ألا تخاف الله، يظن الإنسان العاقل أنّ أعظم شيء أن يخاف الإنسان من الله، فالمتغطرس لا يخاف الله إطلاقاً، فكل إنسان يجب أن يُخاطب بلغة يفهمها، وهذه من الحكمة- .

قال: ولما أفقت من غيبوتي بعد أن ضربت ضرباً مبرحاً، جئت النبي عليه الصلاة والسلام، فلما رأى ما بي قال: يا أبا ذر، ألم أنك عن إعلان إسلامك؟ فقلت: يا رسول الله، كانت حاجة في نفسي فقضيتها، فقال: الحق بقومك، وأخبرهم بما رأيت وما سمعت، وادعهم إلى الله، لعل الله ينفعهم بك، ويأجرك فيهم، قال: فإذا بلغك أني ظهرت فتعال إليّ))
ما معنى ظهرت؟ يعني نصرني الله، الآن النبي مستضعف متخف .

هل استجابت قبيلة أبي ذر إلى دعوته، ومتى أقام بالمدينة، ومتى فارقتها، وأين أقام ؟

قال أبو ذر:

((فانطلقت حتى أتيت منازل قومي، فلقيني أخي أنيس، فقال: ما صنعت؟ قلت: لقد أسلمتُ وصدقتُ، فما لبث أن شرح الله صدره، وقال: مالي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت أيضاً، ثم أتينا أمنا فدعوناها للإسلام، -والمرأة لها قيمة وشأن، فهي أمّ، وزوجة- فقالت: مالي رغبة عن دينكما، وأسلمتُ أيضاً .
منذ ذلك اليوم انطلقت الأسرة المؤمنة تدعو إلى الله، لا تكلم عن ذلك، ولا تملّ منه، حتى أسلم من غفار خلق كثير، وأقيمت الصلاة فيهم، -ما معنى قوله تعالى؟:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

[سورة النحل الآية: 120]

أنت ممكن أن تكون أمة، إذا كان عند الإنسان صدق شديد، ودعا إلى الله يصبح وحده أمةً-.



أيها الأخوة، لكنّ فريقاً منهم، قال: نبقى على ديننا، حتى إذا قدم النبي المدينة أسلمنا، فلما قدم النبي المدينة أسلموا- فعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((غَفَارُ عَفْرِ اللهِ لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَأَلَمَهَا اللهُ، وَعَصِيَّةُ عَصَتْ اللهُ))

[أخرجه مسلم في الصحيح عن ابن عمر]

وقبيلة أخرى أسلمت .

أقام أبو ذر في باديته حتى مضت بدرٌ وأحدٌ والخندقُ، ثم قدم إلى المدينة، وانقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستأذنه أن يقوم في خدمته، فأذن له، وتعمَّ بصحبته، وسعدَ بخدمته، وظلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثره ويكرمه، فما لقيه مرةً إلا صافحة، وهشَّ في وجهه وبشَّ .

لما لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى لم يطق أبو ذر صبراً على الإقامة في المدينة، بعد أن خلت من سيدها، وأقفرت من هدي مجلسه، فرحل إلى بادية الشام، وأقام فيها مدة خلافة الصديق والفاريق رضي الله عنهم جميعاً .



وفي خلافة عثمان نزل في دمشق، فرأى من إقبال المسلمين على الدنيا وانغماسهم في الترف ما أذهله، ودفعه إلى استنكار ذلك، فاستدعاه عثمان إلى المدينة، فقدم إليها، لكن ما لبث أن ضاق برغبة الناس في الدنيا، وضاق الناس بشدته عليهم، وتنديده بهم، فأمره عثمان بالانتقال إلى الريدة، وهي قرية صغيرة من قرى المدينة، فرحل إليها، وأقام فيها بعيداً عن الناس، زاهداً بما في أيديهم من عرض الدنيا، مستمسكاً بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من إيثار الباقية على الفانية))

إليكم زهده في الدنيا :

دخل عليه رجلٌ ذات مرة، فجعل يقلب الطرف في بيته، فلم يجد فيه متاعاً، فقال:

((يا أبا ذر، أين متاعكم؟ فقال: لنا بيت هناك، نرسل إليه صالح متاعنا، ففهم الرجل مراده، -أنه يعني الدار الآخرة- وقال: ولكن لا بد لك من متاع ما دمت في هذه الدار، فأجاب: ولكن صاحب المنزل لا يدعنا فيه))



بعث إليه أمير الشام بثلاثمئة دينار، وقال له:

((استعن بها على قضاء حاجتك، فردها إليه ، وقال: أما وجد أمير الشام عبداً لله أهون عليه مني))

وفي السنة الثالثة والثلاثين للهجرة استأثرت يد المنون بالعباد الزاهد، الذي قال فيه النبي صلوات الله عليه:

((مَا أَظَلَّتْ الْحَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتْ الْغُبْرَاءُ، -الغبراء الأرض، والخضراء السماء - مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ، وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

يعني أصدق مع ربه، وأصدق في طلب الحق، وأصدق في الزهد في الدنيا .

مغزى القصة :

أردت من هذه القصة ذكرَ إنسان يعيش في وادٍ منقطع، وتعيش قبيلته على قطع الطريق أحياناً، وعلى فتات القوافل أحياناً، يصبح سيدنا، ويصبح صحابياً جليلاً، ويصبح في أعلى قمم التقوى والصلاح .



مرّة ثانية، أيّ وضع أنت فيه؟ من أيّ انتماء أنت؟ من أيّ عرق كنت؟ من أيّ لون؟ من أيّ طبيعة؟
من أيّ مستوى؟ من أيّ أصل؟ لا شيء في الأرض يمنعك من أن تكون مؤمناً وبطلاً قريباً من
الحق .

والحمد لله رب العالمين